

المذهب الروحاني

مدرسة القرن العشرين

مجلة المقتطف مدرسة جنحة يتلمذ عليها كثيرون من المفكرين وينتفع بها أكثر قراء العربية انتفاع أهل الغرب بما لديهم من أمهات الجلات — ولعل هذا ما حدا بي أن أعجل لموضوع المذهب الروحاني بعد أن قرأت ما نشرته مجلة المقتطف من المساجلة التي دارت بين السير آرثر كونن دويل والمستر مكايب وما أسلفت نشره في ما مضى من السنين وفي العهد الأخير للسر أولفر لودج وغيره من أقوال العلم وعمد الفلسفة في هذا العصر — وما عنّ لها هي أن تعقب به على كل هذه الآراء المتضاربة المختلفة الأشكال والألوان

وما نبغني الأسباب في موضوع نحن نميل كثيراً إلى الاعتقاد بأنه سيكون مدرسة القرن العشرين وإنما نحن زبده إن نفع الملتصق بما وقفنا إليه في هذا الباب وعلى أن يهيم لنا القدر موقفاً آخر نستطرد البحث فيه لنظهر القراء على أسباب الخلاف القائم بين أنصار المادية وأتباع الروحية. هنالك تطعن نفوسنا وتسترخ ضمائرنا وهتاك تكون قد أدينا بأعمى من واجب وما نشر به من حق

نقول : لقد نضجت المادية في القرن التاسع عشر وقويت مدرستها واتسع نطاق نفوذها فهيمنت على المشاعر والمتقدات وملكيت على الناس مفاوز حساسيتهم وتولت طرائق تفكيرهم غالت بينهم وبين كل ما دونها بما كان لها من هيمنة وسلطان على الماهية الإدراكية من جهة والقوة الوجدانية من جهة أخرى . على حين أنا نرى أن هؤلاء قد عاشوا في جلودهم أكثر من عيشتهم بوجدانهم وتفكيراتهم . وعلى أن « ما بعد الطبيعة » لم يعد من بين المفكرين وأهل العلم من كان يؤمن به ويؤبه له في كل مكان وفي كل زمان وأن اختلف ذلك باختلاف العصور والأدوار التي مرّ بها التاريخ

ولقد يخيل إلينا أن ظل المدرسة المادية قد أخذ يتزاول وبدأ يروغ وأن مدرسة المذهب الروحاني تقوى كل يوم وتشد بمن يدخلونها أفواجاً أفواجاً من وقت وبعد حين — من أقطاب المدرسة المادية وشؤل العلم وعمد التفكير من

المعاصرين المشهورين — اولئك الذين لا ينطقون عن الهوى . ولقد يحيل اليها ان اسبب في انتشار المذهب الروحاني في بعض بلاد العالم دون البعض الآخر وعلّة رواجها في الشرق هو لانه لا يتعارض مع الاديان ولانه يصادف هوى في نفوس المتدينين بما يدخله عليهم من الاتعاش والعزاء وبما يقوي فيهم من الايمان بالعالم الدائم . وما اتسم هذه الحياة التي هي لشبه الاشياء بمقدمة طويّة عريضة لا نتيجة لها — اذا كانت حياتنا تنتهي عند عميلنا هذا الدور المحزن المحوط بكل انواع انشقاء ونحتم بالموت الذي ما بعده حياة فتسدل الستارة على مقدمة من غير نتيجة ولقد سمعت بعضهم يقول : دعني اعيش مع الوهم وامتع بما يصوره لي خيالي من النعيم المقيم جنة الفردوس ادخلها واعيش فيها ابد الابدين — دعني في خيالي اكفكف به ألم هذه الحياة وارفعه عن نفسي وطأة هذه الحياة الدنيا واسرّي فيها ما يسويها من الشقاء والبأساء — فاذا كنت عرقاً ولم يكن لهذا كله من وجود فيخي فاني اذن لم احسر شيئاً ولكني مع هذا اكون قد هونت على نفسي مصائب نصادفها وحققنا عنها مصائب تترسها في سبيل تدرجها . على انا لا نجري مع هؤلاء حتى في شروطهم هذا وانما نحن نريد ان نندمج في حستنا ونعمل على الوصول الى الحقيقة النسبية من طريق الرقي الوجداني بتهديب النفس وترقية الوجدان وتقوية الماهية الادراكية

تقول واذا كان العقل المجرد لا يمكن ان يعلم به اصحاب المذهب المادي دعواهم في ذلك انه لا عقل من غير مادة وان المادة الحسية الظاهرة هي التي تعرف بها اعمال العقل والروح والنفس واشياء ذلك . فانا نؤمن ان احتياج العقل او النفس الى المادة ضروري لنا لاننا نعيش متدجين فيها متكرين كل ما عداها — والاندماج هذا يوجه كل قوتنا الى المادة فلا نرى الا بها ولا نفهم الا من طريقها . وما نريد ان نستدل باهل الكشف وأصحاب مذهب التصوف والواصلين من التوجهين اولئك الذين يرون بصورتهم سكان بعض العوالم الاخرى ويشاهدون حقائق لا تقوى ابصارنا المادية الصرفة على مواجهتها ولا تستطيع ابصارنا الحسية على الاطاعة بها لما يقف قبالتها من مسابير الطبيعة ومخالفات هذا الوجود . وانما ما نذهب اليه وما نريده من المفكرين — ان يتمشوا معنا في طريق العقل ويمثلوا

الظواهر البينة التي تظهر في العالم والتي ينحصر عمل العقل في تعليلها وادراك
كنها واستكشاف بواعثها ومبانيها
يريدون ان تصبح مسألة الارواح مسألة آلية صرفة ويريدون تعليلها بقول
منفصلة مستفادة وهم يملكون حق العلم ان الاثير وهو الواسطة الوحيدة التي توصل
بين اطراف العوالم جميعها والذي يرجع اليه وجود التماسك والانسجام والمناطيسية
والنور والكهربائية والجاذبية ايضاً على رأي ابينتشتين — يملكون ان الاثير هذا
يقف العلم امامه مكتوف اليدين وهو الذي لا بد من دراسته دراسة تامة لمن
يريد ان يدرس احتمالات العالم الروحاني لانه العلة القائمة بين عالمنا المادي والعوالم
الروحانية الاخرى ولانه لا بد لنا ان نبر هذا البوغاز لتصل الى المحجوب الذي
كثرت في وجوده الشكوك والريب

يلوح لنا ان العلم لا يزال يحبو في مهدو والعقل الذي بهر ما وصل الى
استكشافه — من تسخير الهواء والماء والكهربائية والانتفاع بقوى الطبيعة —
يلوح لنا انه لا يزال يتخبط في دياجير الدجى الخالكة وممبيات الوجود فكما
وفق الى ظاهرة انسا حقيقة وقف متمسكاً متباهياً شامخاً — ولكنه لا يلبث هنيهة
ان يرتطم في سخرة تضيق عليه جهوده وتنبه الى غروره وتوقفه عند حده
يقول الفيلسوف الانكليزي المعروف هربرت سبنسر ان العقل الانساني لم
يصل الى كشف اسرار الطبيعة وانما وصلنا الا الى ادراك وتعليل الكميات
وأما الجزئيات فلا يزال سرها نامناً . قول حق واعتراف صريح ولكن العقول
العالية الجبارة ترغب في المزيد ولا تقنع الا بالوجود المحسوس ثم هي من بعد ذلك
لا يرضيها كل تعليل ولا تقبل ما يجيئها عن طريق السمع او التواتر
الشك اول خطوة يخطوها المخلوق صوب اليقين ولا يكون اليقين يقيناً
حقاً قائماً على دعائم قوية متينة الا بعد الشك والتفكير والتأمل الطويل والبحث
والاستقراء كماها شؤون ابحاثها الاديات بل اومت بها — هذا هو الكتاب
القدس يقول (فتشوا الكتب لانكم تعتقدون ان لكم فيها حياة ابدية) . وهذا
هو القرآن الكريم يقول : (وفي أنفسكم افلا تفكرون ؟) . لذلك نحن لا نستعجن
من غير المؤمنين بالعالم الروحاني طرائق ابحاثهم وامتحاناتهم بتحقيقاتهم ولا نريد
ان يميلوا منا من غير بحث ولا اقتناع وانما نحن فنكر عليهم حججهم التي

يتمسكون بها حيال هدم هذا المذهب وكلها قائمة على أنهم امتحنوا انساناً يدعي
الانتماء الى الروحانية فانسوا الأباهارة وتلاعياً وشعوذة . وليس هذا يقوم
دليلاً صحيحاً عند العقل والفرق كبير بين المذهب والمذهب به . وليس من انصواب
في قليل ولا كثير ان ارضي مذهباً بلعقل واتهمه بالظلال لمجرد وجود بعض الناس
من يسعون زوراً انتباههم له وللمجرد ان يخفقوا امامي في عمل يقومون به . والمذهب
شيء والمدعي الانتماء اليه شيء آخر فكم من متدين اساء الى دينه بادعائه انه من
مظاهر هذا الدين وكمن مواطن اساء الى وطنه لتصرف يبدو منه فيحكم الحاضر
على المواطنين جميعاً على هذه الشاكلة . والمذهب الروحاني مدخول بكثير من اللاعبين
والادعياء الذين يمشون بالشعوذة والتحضير وجلب الهبة . وما كان هذا ليؤثر
في جوهره لانه قائم بجوهره يدل على وجوده بالامتحان والاستمداد

ان خطأ كبيراً ان يعتقد البعض بان كل انسان يجب ان تظهر له الارواح
عياناً بياناً في بهرة الشمس والناس يختلفون امزجة ويتباينون في استعدادهم وليس
المائع الحيوي فيهم على نسب متساوية . وكذلك كانت الفروق بين انسان وانسان
كثيرة متباينة فقد يرى الانسان مالا يراه الآخر لما فيه من الاستعداد الطبيعي
وقد يكون غيره بحاجة الى تفوق ومران ليصل الى ما يصل اليه غيره فجأة ومن
غير عناء ولا نصب . وخطأ كبير ان تصور ان المزاج الواحد يكون بحالة واحدة
ابدية دائمة دائمة وما كان امزاج حتى الانبياء سواسية في كل حين — لذلك لا
يمكن ان نصيب مرمى الحقيقة اذا نحن حكنا على الروحاني بمجرد جملة واحدة
وقد يختلف المزاج فيه وقد تختلف الروحية عنده فكان اول لنا ان تترتب في
الحكم ونجري على قاعدة (كانت) الفيلسوف في الامتحان وفي اصدار الاحكام

لقد قرأت بمضرب وقت اليه جماعة الباحث النفسية في بلاد الانكليز وقرأت
اعتراض المعارضين على مذهب الارواح فعلت ان جوهر الاعتراضات وعمورها
يدور حول نقطة واحدة هي اهم ما يوجه نحو ظواهر الاقوال الروحانية واثرها
تظهر به — نعم تسائل الذين يحضرون الجلسات ويرون باعينهم فعل الطاولة او
التنويم او استحضار الارواح فيجيبونك ان هذا انما ينشأ من انتقال الافكار
وتوافق الشمود وان ما يقع من التأم او من فعل الطاولة انما هو من اختلاط

الامزجة لاناس اجتمعوا في جماعة واحدة وخضعوا لتأثير واحد فاصبح اسكل خاضعا لمؤثر واحد وصار سهلا جدا ان ينتقل فكل الواحد الى الآخر بغير عصبى او مانع حيوي يصل الامزجة بعضها ببعض ويكون وساطة لذلك

ولقد حضرت جلسات كثيرة من انواع مختلفة لهذه الشؤون انا ذاكر هنا نوعين جلسيتين اثنتين تفندان هذا الزعم . حضرت جلسة تحريك الطاولة في دار أحد اصديقاتي وقد صحبت معي احد الافاضل وكان شغوقا جدا بهذه المسائل وطلبت اليه ان يحضر اسئلة يمرضها وقت الجلسة واشرت اليه ان يصرف دينارا قطعاً صغيرة من القروش ويتركه في مكان من داره حتى اذا حان وقت انجاءنا الى مكان هذه الجلسة كبش كبشة من هذه القروش دون ان يحيط بمدتها عنفاً وجعلها في جيبه — وفعلنا كان ذلك فلما ان سأل الطاولة كم معي من القروش وكنا جميعاً نجمل ذلك وهو ايضا لا يعرف عددها ما في جيبه اجابت بالقرعدها تماماً فخرج ما في جيبه وعدده فاذا بها صادقة وهو ما يفند دعوى انتقال الافكار

اما الحادثة الثانية فقد وقعت امامي في دار احد الوجهاء — (لا اذكر اسمه لاني لم استاذنه في ذلك) وكان يستعمل الوساطة اليدوية وكنا نجتمع عنده كل ليلة ولقد برز ونجح كل نجاح في ذلك وادهشنا بامور سنذكرها بعد ان نستاذنه . ذلك ان كان معنا الاستاذ الجليل الشيخ طنطاوي جوهرى — وقد اتى على اليد سؤالاً فقال للحاضر وكان من اهل فرنسا ان كتاباً له قرظته احدى صحف باريس يريد ان يعرف اسم هذه الصحيفة ويريد ان يستجلبها فاجابته الروح انه قرظ في صحيفة كذا وانه اذا ارسل الى فلان العالم الفرنسي المعروف بالاكاديمية الفرنسية فانه يبحث له عنه ويبحث له به فاجابه الاستاذ ولكني لا اعرف الرجل فكيف اعطيه في ذلك . فاجابه الروح انه يرد عليك اذا انت كتبت اليه قالت ومع ذلك فانه حديق صديقك اسماعيل باشا صبري — فاسأله واظلم اليه ان يكتب اليه هو الآخر . وكان الاستاذ خالي الدهن بالكلمة من اسم الرجل الفرنسي وعنوانه وعلاقته بالباشا فاخذ يكتب الاسم بالضبط وثمره المنزل واسم الشارع والوظيفة وكل ما قالت به الروح وهوول في اليوم الثاني الى دار الباشا وسأله عما اذا كان يعرف انساناً من علماء فرنسا فاجابه بما انطبق تمام الانطباق مع ما في يده

ان هذا لدليلاً ظاهراً على هدم نظرية انتقال الافكار واتحاد الامزجة لاننا جميعاً ما كنا نعلم ولا كان في خواطرننا وضمائرنا شيء من كل ذلك فمن اين اذن كل ذلك لعلنا اطلنا الحديث على القارىء انكره فستبيحه عذراً في ذلك على أن تكون لنا عودة في الحديث بما يكون أكثر وضوحاً ان شاء الله ولكل انسان وجهة هو مولها

حسن حسين

فصل الخطاب في مسألة الارواح

ذكرنا في مقتطف يناير (صفحة ٥٧) ان مجلة السينتك اميركان تبرعت بخمسة آلاف ريال تعطى نصفها لاول وسيط يظهر امام لجنة تدين لذلك روحاً من ارواح الموتى بصورة فوتوغرافية صحيحة يقتنع اعضاء اللجنة انها صورت في احوال لم يكن للفن ولا للخداع من يد فيها. وتعطي النصف الآخر للوسيط الاول الذي تعمل الروح بواسطته عملاً روحياً يقتنع اعضاء اللجنة بصحته. أي يراد بهذه الجائزة اثبات ظهور الارواح ومخاطبتها وتجميعها اثباتاً يفي كل ريب يقول البعض ان ارواح الموتى تظهر للاحياء ومخاطبتهم اما بصوت يسمعونهُ ولو لم يسمعهُ احد فيرم او بقرع المواثيق قرعاً حسب حروف الكلمات التي تريد الروح مخاطبتهم بها او بتحريك ايديهم لتكتب ما تريد مخاطبتهم به وقد تجبرهم بامور مستقبلية او تنبئهم بحوادث حدثت في اماكن بعيدة عنهم او تكشف لهم الخبائات وتعلمهم بالمجهولات وتتخذ صورة مادية حتى يمكن ان تلمس وتصور صوراً اذا رآها احد يعرف صاحبها لما كان حياً عرف انها صورته ولو كان قد مات منذ عهد بعيد. ويزيدون على ذلك ان هذه الارواح تخلق اشياء لم تكن موجودة كفتجان الشاي التي خلقتهُ مدام بلانيسكي في بلاد الهند ممثالاً لفتاجين أتي بها من بلاد الانكليز^(١). فينسبون الى ارواح الموتى كشف المجهولات ومعرفة الغيب وخلق المواد والتقمص باجسام مادية. ولا ندرى ما ابقوا للخالق. واذا رأوا من ينكر عليهم ذلك قالوا انه مادي ينكر وجود الارواح ووجود الخالق ايضاً. ولا

(١) انظر مقالة مسبقة في هذا الموضوع موضحاً المستغمرات نصرت لي مقتطف نوفمبر